أثر
الأسبوعية Atar
العدد (27)، الخميس، 25 أبريل 2024م

هاييتي: دولة «جيمي مَشَاوي»

مجدي الجزولي

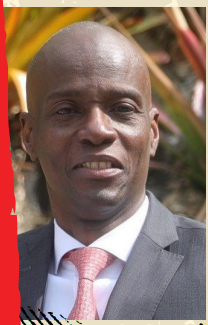

انهارَ في مارس الماضي توازنٌ، كان ضعيفاً قبلها، بين العصابات المسلحة والقوى الأمنية في عاصمة هاييتي بورتوبرنس، لمصلحة الأولى، واستطاع تحالفٌ من العصابات بقيادة جيمي شيريزيه، الشهير بلقب «جيمي باربكيو»، أو «جيمي مَشَاوي» إن شئت، أن يفرض سلطانه على العاصمة. فتح رجال العصابات أبواب السجون، وسيطروا على الميناء وأحرقوا مقار الشرطة والمحلات التجارية، كما حاصروا المطار وشنّوا حرباً للنهب والسلب على الأحياء السكنية. هذه الفوضى عند جيمي مَشَاوي، الضابط السابق في القوات الشرطية الخاصة، هي عين التحرير، الذي قال إنه هو هدف الثورة المسلحة على النظام القديم.

والنظام القديم عند جيمي مَشَاوي، هو الفصل الأخير من تهافت طبقة الحكم في هاييتي، الذي كانت بدايته اغتيال الرئيس جوفينيل موييز في يوليو 2021 بيد فريق من المرتزقة، ضمن مؤامرة طال فيها الاتهام حتى زوجته. بلغ رجل الأعمال موييز سدّة الرئاسة بانتخاباتٍ كَثُرت فيها الطعون في نوفمبر 2016، وهي انتخابات بديلة للانتخابات التي انعقدت في أكتوبر 2015، وانتهت بخلاف مشهود على سلامة حسابها وتُهم بالتزوير لمصلحة موييز، حتى فرض المتظاهرون المحتجّون على عملية «الخج» إلغاءها بالمرة.

اختار موييز قبل اغتياله بيومين آرييل هنري رئيساً للوزراء، لكنْ وَقَف بينه والمنصب سلفُه كلود جوزيف بعون قادة الجيش الهاييتي. وكلود جوزيف هذا هو المتهم الأول في اغتيال موييز. انتقل السلطان إلى آرييل هنري بفضل مجموعة من الدبلوماسيين سمّوا أنفسهم «المجموعة المحورية»، أولاءْ قَلِبا، ضمّت السفراء المعتمَدين لكلٍّ من الولايات المتحدة الأميركية، الاتحاد الأوروبي، كندا، فرنسا، ألمانيا وإسبانيا، في هاييتي، إلى جانب ممثلي الأمم المتحدة ومنظمة الدول الأميركية في البلاد. اجتمع رأي هؤلاء على أن آرييل هنري، السياسي المخضرم وجرّاح الأعصاب، هو الأنسب لرئاسة الوزراء، وأجبروا كلود جوزيف على التراجع. وَعَد هنري أول عهده بعقد انتخابات جديدة في

أقرب فرصة، وتوصَّل في 11 سبتمبر 2021 إلى تفاهمات مع قادة الأحزاب وقوى سياسية مهاجرة من ضمنها اتفاقٌ على تشكيل حكومة انتقالية بالتراضي بين الجميع وتعيين لجنة انتخابية مؤقّتة مهمتها تنظيم انتخابات عامة آخر العام 2022.

لكنْ سرعان ما عزل آرييل هنري أعضاءَ لجنة الانتخابات المتفق عليها من مواقعهم، وأعلن تأجيل الانتخابات حتى إشعار آخر، ثم أعلن حكومة جديدة في 24 نوفمبر 2021 دون اعتبار لعهد 11 سبتمبر 2021. ومن ثمّ عاد وجدّد عهوده السياسية مع أحزاب معارضة وممثلين للمجتمع المدني في 21 ديسمبر 2022 واعداً بعقد الانتخابات في العام 2023 على أن تتولّى حكومة منتخبة السلطة في فبراير 2024 ويتولّى مجلسٌ أعلى لشؤون الانتقال مكوّنٌ من ثلاثة أفراد مهمة الإشراف على الجهاز الحكومي والتعيينات في المناصب السياسية.

أعلن هنري في سبتمبر 2022 تخفيض الدعم الحكومي للوقود، وكانت النتيجة مضاعفةَ أسعارِه للمستهلكين وسيلاً من الاحتجاجات الشعبية. تمكّنت العصابات المسلحة بقيادة جيمي مَشَاوي خلال هذه الاحتجاجات من إغلاق الميناء الذي يستقبل الوقود المستورد. وتوجّه هنري إلى المجتمع الدولي يطلب العون بما في ذلك العون العسكري. تجدّدت أعمال العنف وازدادت خطورةً بهجوم ضباط البوليس المتذمّرين من زيادة أعداد القتلى في صفوفهم برصاص العصابات على مسكن هنري في يناير 2023، وكان وقتها في موقع آخر فسَلِم.

غادر هنري هايتي إلى غايانا في 25 فبراير 2024 ومنها إلى كينيا لإكمال مفاوضات طالت حول نشر ألف ضابط بوليس كيني في بورتوبرنس للمساعدة على حفظ الأمن، وأجبرته العصابات التي استولت على المطار والعاصمة على طلب الأمان في بورتوريكو.

لم تتمسّك الولايات المتحدة ممثّلة عن مجموعة أولاد قَلِبا كثيراً بحليفها هنري، وناشدته بحسب متحدّث الخارجية الأميركية في 6 مارس 2024 «المسارعة بالانتقال إلى هيكل حكم جامع ومتمكّن يقوم على وجه السرعة بمساعدة البلاد على الاستعداد لبعثة متعدّدة الأطراف للعون الأمني»، وأكّدت أنها لن تقدّم له أي عون لمساعدته على العودة إلى البلاد. ردّد اجتماعُ دول الكاريبي (كاريكوم) في جامايكا الحكمَ الأميركي على هنري بصوت إقليميّ، فأعلن الوكيل المحلي اعتزالَ المنصب ثم استقالة حكومته

متى ما اتفقت الأطراف ذات المصلحة على مجلس انتقالي للحكم بتمثيل واسع، كما ورد في الصيغة الأميركية المعروفة.

من جهته، ردّد جيمي مَشَاوي، الذي بيده مصير العاصمة وأهلها، الوعيد بحرب أهلية لا تُبقي ولا تذَر وإبادة جماعية إذا ما عاد هنري إلى السُّلطة وطالَب بضمّ شخصه إلى زمرة «أصحاب المصلحة» وفق العبارة الأميركية. قال رؤساء دول الكاريبي في نهاية قِمّتهم التي انعقدت في غياب هنري، وفي حضور وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن، إنهم يواصلون الجهود في البحث عن إطار سياسي صالح للانتقال السياسي يحقّق المطلوب الأميركي في الإسراع بإكمال المهمة، قفَل واحتفَل. نال هذا الإعلان الرضى الأميركي فقالت الخارجية الأميركية إنها تساند «المقترح الذي تمّ إعداده بالتعاون بين كاريكوم [منظمة دول الكاريبي] وأصحاب المصلحة الهاييتيين للإسراع بتحقيق الانتقال السياسي عبر تشكيل مجلس رئاسي مستقل واسع التمثيل». وسيتشكّل هذا المجلس الموعود من سبعة أعضاء كاملي الأهلية ومراقبَين اثنين، بما في ذلك ممثّلون لعدد من التحالفات السياسية والقطاع الخاص ورجل دين واحد، وستكون مهمته الأولى الاستجابة للمطلوبات الملحّة لشعب هاييتي بما يمكّن من انتشار قوة لحفظ الأمن وتهيئة الظروف الملائمة لإجراء انتخابات حرة.

قال جيمي مَشَاوي لمراسل سي إن إن في مارس 2024، إن هدفه هو تغيير النظام في هاييتي وبناء هاييتي جديدة؛ وهي مهمّة جنّد لها، إلى جانب رجال العصابات خارج السجون، أربعةَ آلاف آخرين خرجوا لتوّهم عنوةً واقتداراً من أكبر سجنين في العاصمة. لم تتحقق لمَشَاوي الغلبة ضد خصومه من عالم العصابات بيُسر، فقد قاتَل على رأس عصابته لعدد من السنين ضدّ جماعات مناوئة في معارك حضرية بلغ ضحاياها في العام 2023 فقط حوالي الخمسة آلاف نفس، معظمهم من غير المسلّحين. ولمَشَاوي غبينة مع هنري من أسبابها أن مَشَاوي كان صاحب حظوة عند موييز القتيل، وبلطَجَ رجال مَشَاوي لمصلحة موييز، وتوسّعت رقعة سيطرتهم في العاصمة خلال فترة حكمه، حيث كانت مهمتهم قمع التظاهرات المعادية له، بخاصة من مدن الصفيح.

لكن اكتشف مَشَاوي بعد مقتل صَفيِّه موييز أنّ هاييتي تحت حكم هنري وقعت في يد صفوة ثرية من أهل الحظوة علامتهم لونهم «الأخدر» الفاتح حتى القمحي، بينما غالب أهل البلد من السود المظاليم، وحانت الساعة أن يتولّوا أمرهم بيدهم. «أول

ثورة نحتاجها هي ثورة في الذهن» فقد «حوّلت هذه الصفوة الناس إلى هُمّل تُبّع، ولا بدّ أن نحارب كلّ هذا، نحارب ونرفع وعي الناس، وهذا شغلنا في الأحياء الفقيرة». «نشرح للناس كيف ألقت بهم البلاد إلى القاع، ومتى ما أدرك الناس أنّ الدولة هي المسؤولة عن أوضاعهم التي يعيشونها، لن يظلّ شخص واحد يريد أن تستمرّ هذه الأوضاع. إنها مسألة وقت». بل نسب مَشَاوي نفسه إلى مارتن لوثر كنغ، وقال إنّ ثورته المسلحة ضد نظام هنري، والنظام جملةً، قضيّتُها نصرة السود المستضعفين، لكن الفرق أنه يقاتل بالسلاح بينما عَفّ كنغ عن السلاح.

يكرّر مَشَاوي في مقابلاته الصحفية العديدة: «لستُ لصاً، ولست متورّطاً في الاختطاف، ولست مغتصباً، أنا فقط أخوض حرباً اجتماعية». واقع الأمر، بدأ مَشَاوي مهنته الجديدة كزعيم عصابة بعد تورّطه، وهو بَعدُ ضابطٌ في البوليس عام 2018 في مقتلة كبيرة في حي «لا سالين»، بلغ قتلاها فوق السبعين، ومغتصَبات سبع، وأربعمائة دار محترقة. وتهيأ له بالسيطرة على أعظم عشوائيات بورتوبرنس التحكّم في الشوارع التي تحيط بالعاصمة وبالدرجة الأولى في إمدادات الوقود. جعل مَشَاوي من هذه السيطرة ريعاً مدراراً تعاظمت به قوّته العسكرية؛ فهو رجال عصابات ورجل أعمال وصاحب يد سخية كذلك، يعرفه أهل العشوائيات كمحسن يتكفّل بمصاريف المدارس عن الأسر الأرقّ حالاً، بيده عذابُهم، وبيده كذلك نجاتُهم.

انقطعت عاصمة هاييتي بورتوبرنس عن العالم منذ سيطرت عليها العصابات تحت إمرة مَشَاوي وحوّلتها إلى «سجن كبير» بحسب صحفي مرموق ظل مرابطاً في موقع آمن جنوب العاصمة. تبخّرت هياكل الحكم والنظام، أي نظام، وحوّلت العصابات وسط العاصمة إلى هياكل محترقة وأكوام من الركام. أعلنت النشرة الحكومية التي تصدر تحت ولاية الأمم المتحدة يوم 12 أبريل 2024، قيام مجلس رئاسي انتقالي من تسعة أعضاء، سبعة منهم مكتملو الأهلية يحقّ لهم التصويت، كما في المقترح الأميركي، يتولّى مهام قيادة الدولة حتى انتخاب رئيس في تاريخ أقصاه 7 فبراير 2026. استبعَد المجلس من عضويته جيمي مَشَاوي باعتبار العقوبات الأممية المفروضة عليه. وقالت النشرة الحكومية كذلك باستبعاد كلّ مدان أو متهم في جريمة وكلّ مناوئ لانتشار قوة أمنية دولية في هاييتي، من الانتخابات: أصابع متعدّدة تشير إلى مَشَاوي وصَفِّه. بل وَضَع أولاد قَلِبا شرطاً لعضوية المجلس الموافقةَ المسبقةَ على القوة الأمنية الكينية المنتظرة.

جاء ردّ فعل مَشَاوي على هذه الإعلان بين المظلومية والإرهاب، وقال عن المجلس إنه خبث غير شرعي من النظام السياسي الفاسد ونَدَه لجنوده: «اقطعوا رؤوسهم وأحرقوا ديارهم»، شعار اختلَسَه من شعارات حرب استقلال هاييتي أواخر القرن الثامن عشر حتى النصر في يناير 1804م؛ الحرب التي صارت بها هاييتي أول دولة في العالم تُبطِل الرقّ إبطالاً تاماً. وشعار الثورة الذي اختلسه مَشَاوي يعود إلى جان جاك ديسالين، أوّل زعيم لهاييتي المستقلة، القائد العسكري الذي تآمَر مع الفرنسيين لإبعاد بطل الثورة الأول توسان لوفرتر، الكاتب والمثقف، ولما تحقّق له ذلك انقلب على الفرنسيين بقوة وهزم جيش نابليون. وتاريخ هاييتي المبكر نزاعٌ بين هذا وذاك: لا لا لا، وَيْ وَيْ وَيْ!

مجلة تصدر أسبوعياً عن
مركز **سودان فاكتس** للصحافة

FACTSD
FACTS CENTER FOR JOURNALISM

نعمل على السودان،
من كل مكان

لاستلام نسخة (pdf) من المجلة أسبوعياً

على البريد الإلكتروني،
الرجاء مراسلتنا مرة واحدة على:
atar@sudanfacts.org

على WhatsApp أو Signal،
الرجاء إرسال رسالة تحوي كلمة «أتر» أو «Atar» في التطبيق على الرقم:
+254115438212

للانضمام إلى شبكة مراسلي أتَـر في السودان الرجاء مراسلتنا على:
correspondent@sudanfacts.org

@atarnetwork